الفصل الأوَّل

ماذا يعني إدمان الإنترنت؟

اعتدنا أن نقرأ ونسمع عن الإدمان بمعناه التقليدي المُتعارف عليه، وهو الإدمان علي المُخدّرات، أو المنبهات،أو حتى المهلوسات بأنواعها المختلفة، مثل: الكوكايين، والأفيون، والكحوليات.. وغير ذلك. ولكن جديد هذا العصر،عصر العولمة والإنترنت، هو ظهور أشكال جديدة للإدمان أفرزتها التقنية الحديثة،مثل: «إدمان الإنترنت» INTERNET ADDICTION DISORDER، أو «الإدمان الشبكي» كما يحلو للبعض أن يُسميه، هذا الإدمان الذي تفوق آثاره السَّلبيَّة وأخطاره علي الفرد والمجتمع ما ينتج عن إدمان المُخدّرات.

وقبل نحو عشر سنوات فقط كان الشخص الذي يجلس أمام شاشة الكمبيوتر لمدةٍ تزيد علي ١٢ سَّاعة هو في الغالب أحد المتخصِّصين ممَّن يتقاضون أجراً عن العمل في قطاع البرمجة والإنترنت، ولكن الوضع الآن تغيَّر، بعد تعميم استخدام الكمبيوتر في كُلّ مكان تقريباً، إضافة لتزايد أعداد الأجهزة الشخصيَّة (اللاب توب)، وأصبح التردُّد إلي شبكة الإنترنت لوناً من ألوان الترفيه المُشابه للتردُّد علي دور العرض السينمائي لمشاهدة أحد الأفلام، أو مشاهدة التلفزيون، أو القراءة.

لقد أسرف الإنسان في استخدام شبكة الإنترنت تلك الوسيلة الإعلاميَّة والمعرفيَّة لدرجة أن ظهرت في الآونة الأخيرة

دراسات وأبحاث كثيرة في هذا الشأن، لعلماءٍ وباحثين من مراكز ومعاهد تربويَّة ونفسيَّة واجتماعيَّة في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكيَّة، وكان من أبرز ما تعرَّضت له هذه الدراسات والأبحاث ما أُصطلح عليه حديثاً بظاهرة إدمان الإنترنت، كما أوضحنا. وأكَّدت دراسات أخري أنَّ ظاهرة إدمان الإنترنت موجودة عند٧, ٥٪ من مُستخدمي الإنترنت.

ويمكننا تعريف هذه الظاهرة فيما يلي: «حالة نظرية من الاستخدام المرضي لشبكة الإنترنت، تصعب مقاومتها، وتؤدي بالضرورة إلي التعوُّد الذي قد يتحوَّل إلي نمط سلوكي يُلبي ــ بشكلٍ وهمي أو حقيقي ــ حاجات أو رغبات نفسيَّة وحياتيَّة، والذي قد ينتج عنه اضطرابات مُتعدِّدة ومتنوعة في السلوك».

الإنترنت يغزو العالم ..وإدمانه يضرب بيدٍ من حديد !!

في إحصائيةٍ ذات دلالةٍ تبيَّن أنَّ حوالي ٥,٥٢ مليون شخص في ألمانيا يستطيعون الاتصال بشبكة الإنترنت العالميَّة، أي ما يُعادل ٦٤٪ من سكان الدولة. وفي جزيرة «جرينلاند» GREENLAND (هي أكبر جزيرة في العالم، وهي بلد عضو في مملكة الدنمرك و عاصمتها نوك، تقع بين منطقة القطب الشمالي والمحيط الأطلسي، شمال شرق كندا. وعلى رغم انتماء جغرافيتها الطبيعيَّة وانتمائها عرقياً إلى منطقة القطب الشمالي

وجغرافياً كجزء من قارة أميركا الشماليَّة، ترتبط سياسيًّا وتاريخيًّا بأوروبا، وخاصة بأيسلندا، والنرويج، والدانمرك)، يشترك ٩٢٪ من سكانها بالإنترنت، بينما في الهند (التي تقع في قارة عمالقة الكمبيوتر) فلا يُشكل إجمالي المشتركين بالإنترنت أكثر من ٤٪. هذا، وينموّ قطاع ألعاب الإنترنت بشكلٍ لا مثيل له في آسيا حيث بلغ حوالي ١,١ بليون دولار أمريكي في عام ٢٠٠٧ أي بمعدل نموّ سنوي يصل إلي ١٩٪ في عام ٢٠٠٨.

هذا، وأظهرت الدراسات الحديثة أنَّ حوالي ٦٪ من مُستخدمي الإنترنت الأمريكيين، أي حوالي ١١ مليون شخص يُعانون من حالات الإدمان الإنترنتي.

وفي دولةٍ مثل الصين يُعاني أكثر من مليوني مراهق من إدمان الإنترنت، بل يتجه عدد كبير منهم إلي الجريمة في سن أصغر من نظرائهم في أيَّة دولة أخري في العالم. ويبلغ إجمالي مراهقي الصين حوالي ٣,١٨ مليون نسمة كما ورد بصحيفة «الصين اليوم» CHINA DAILY الحكومية نقلاً عن دراسةٍ أجرتها رابطة الشبيبة الشيوعيَّة، وأفاد البحث المنشور بتاريخ ١٦ يناير ٢٠٠٧ أنَّ الأولاد الذين يثيرون إعجاب آبائهم ومُدرِّسيهم هم الأكثر عرضة لهذا النوع من الإدمان.

ويؤكّد«جاو وينبين» GAO WINBIN الباحث في مجال علم النفس بالأكاديميَّة الصينيَّة للعلوم، أنَّ مُدمني الإنترنت في الصين أصغر من نظرائهم في الغرب بحوالي عشر سنوات وأكثر قابلية للتأثُّر، وأضاف أنَّ اللَّوم يقع علي الافتقار إلي سُبُل الترفيه بالمدارس وهو ما يدفع مُدمني الإنترنت إلي اللجوء إلي « مقاهي الإنترنت » غير القانونية في الغالب، ما يُعرضهم لمخاطر الجريمة والعنف. ولذلك أصدرت الصين مجموعة من القواعد التنظيمية التي تهدف إلي الحدِّ من التهافت علي ألعاب الكمبيوتر في مقاهي الإنترنت، وفرض غرامات مالية باهظة علي أصحابها الذين يسمحون للقُصَّر بارتيادها.

وفي عالمنا العربي قامت إحدى الشبكات العربيَّة بعمل مقياس لإدمان الإنترنت في الفترة من ٢٣ نوفمبر٢٠٠١، إلي الأوَّل من نوفمبر ٢٠٠٢ فيما يُعد استبياناً عبر الإنترنت شارك فيه ٨١٧٧ مُشاركاً. وبناءً علي الأسئلة المطروحة سجل المقياس وجود ٢٧٤٥ حالة إدمان أي بنسبة ٦,٣٣٪ من مجموع المُشاركين. وأنَّ ثمَّة ٣١٣٦ حالة قابلة للإدمان، أي بنسبة٨٣, ٤٪ من مجموع المُشاركين، وهذه القابلية من شأنها أن تتحوَّل مع الوقت إلي إدمانٍ، ممَّا يعني أنَّ عدد المُدمنين في العالم العربي مرشح للزيادة بلّ المضاعفة، وهو رقم مخيف بكُلّ المقاييس.

ويأتي في المُقدمة مَنْ هم بين ١٥ إلي ٢٥ سنة، حيث يبلغ عدد المُدمنين بينهم ١٨١٤ حالة من أصل ٢٧٤٥ حالة إدمان في جميع الفئات العُمْرية، وبناءً علي هذا من الممكن القول: أنَّ الشباب هم الفئة الأكثر قابلية للإدمان في مجتمعاتنا العربيَّة،وخصوصاً الذكور منهم بنسبة ٦٠٪ في حين أكَّدت بعض الإحصاءات الغربيَّة أنَّ النساء هن أكثر الفئات استخداماً للإنترنت وبالتالي عرضة للإدمان الإنترنتي.

وإذا كانت لا توجد في العالم العربي دراسات متخصّصة، أو أبحاث جادة حول مدي تأثُّر الشباب بالإنترنت، وانتشار ما يعرف بـ «مقاهي الإنترنت»،لكن تجدر الإشارة إلي أنَّ قطاعاً واسعاً من الشباب العربي قد وقع في براثن الإدمان علي الإنترنت كما أوضحنا من قبل، وما يتوفر لدينا الآن من دراساتٍ جادة، هي دراسة الباحث المصري« حسني عبد الحافظ » الذي قام باستقصاء عدد كبير من الشباب الذين يتردَّدون علي مقاهي الإنترنت بمدينة الإسكندرية، وكان من بين أهم النتائج التي توصَّل إليها، ما يلي:

١. يقضي ٣٧٪ من هؤلاء الشباب، في المتوسط ٦ سَّاعات أمام الشاشة يومياً. وهذا لا شكّ مؤشر قوي علي دخولهم في مرحلة إدمان الإنترنت.

٢. يستخدم ٦٨٪ منهم الإنترنت لمُجرَّد الولوج إلي غرف الدردشة (الشات)، وإجراء حوارات مع أشخاصٍ من بلدان العالم مع تحديد مسبق للهدف من هذه الحوارات.

٣. يُفضل ٢٤٪ منهم قضاء الوقت أمام الشاشة في ممارسة ألعاب الدور Role Play والولوج إلي مواقع الأحاجي والترفيه.

٤. امتنع ٧١٪ منهم عن الإجابة عن سؤال حول الولوج إلي المواقع الإباحيَّة.

٥. أشار٤٢٪ منهم إلي أنَّهم أُصيبوا بنوعٍ من العزلة الاجتماعيَّة، ولم تعد لقاءاتهم الشخصيَّة بالأصدقاء كسابق عهدها، ممَّا أفقدهم تلك الحميمية والدفء والألفة، وأصبحوا يفضلون الالتصاق بالأسلاك عن الالتقاء بأفراد الأسرة والأصدقاء.

ومصر تسير هي الأخرى على طريق إدمان الإنترنت، فهي تمتلك واحداً من أسرع مُعدلات النموّ في عدد مُستخدمي الإنترنت في الشرق الأوسط. ويتوقَّع الخبراء أن تشهد السنوات الخمس القادمة نموّاً كبيراً في أعداد مُستخدمي الإنترنت يربو على عشرة أمثال ما كان موجوداً.